لؤلؤ.. عميل للكنيسة أم مرشد للمباحث؟

16

هذا الرجل لايزال لغزا محيرا، إنه سمير لؤلؤ، اسمه بالكامل محمد سمير لؤلؤ عبد السميع، بعد أحداث أبو فانا التى اعتدى فيها الأعراب على الرهبان هناك طفا اسمه على السطح، كان الاتهام الذي علق برقبته أنه هو الـذي قـاد البـدو لمهاجمـة الدير وإطلاق الرصاص على الرهبان، دافع عن نفسه كثيرا، قال إنه لم يكن موجودا لحظة وقوع الاعتداء على الرهبان، كان يؤدي واجب العـزاء في ميـت بقريـة قصـر هور.

لكن الأقباط اتهموه علانية بأنه بطل المعركة، وأنه يحظى بحماية الأمـن لأنـه مرشد للمباحث، والدليل أنه ظل حرا طليقا كل هـذه الفتـرة دون أن يتعـرض لـه

أحد، وعندما شارك في تسجيل حلقة من برنامج الحقيقة الذى يقدمه وائل الإبراشى على فضائية دريم، أخرج له أحد المحامين الأقباط ورقة وقال له هذا طلب ضبط وإحضار لك من أمن الدولة، فكيف تجلس بيننا الآن آمناً مطمئناً.

بعد ساعات من التسجيل كان سمير لؤلؤ معي فتحت معه كل الملفات، قلت له مباشرة هل أنت مرشد للمباحث؟ فقال: والله أنا علاقتي بالأمن أني مواطن عادي، ورغم أن رهبان الدير اتهموني قبل ذلك بأني اعتقلت لمدة ١٤ سنة وأني مرتش ومبتز، لكن لم يحدث أي شيء من ذلك، فأنا أتحدي أن يثبت أحد أن لي علاقة بالأمن.

لؤلؤ كان قد قرر أن يظل في القاهرة عدة أيام ولا يعود إلي المنيا حتى يعرف رأسه من رجليه في حكاية ضبطه وإحضاره، لكن أحد قيادات الأقباط في المنيا أكد له عبر اتصال تليفوني أنه ليس مطلوبا ولم يتقدم ضده بأي شيء رسمي، صدق سمير ذلك، عاد إلى المنيا وسلم نفسه للنيابة، لكن تم الإفراج عنه من سراي النيابة لعدم وجود أي أدلة ضده.

قال لي سمير: إن الكنيسة تروج أنه عميل للأمن وأنه يحرض العرب عليهم لأنه منذ سنوات بعيدة يقف لهم، ويحول بينهم وبين التوسع في وضع يدهم علي أراضي الصحراء المحيطة بالدير.

يقول: في عام ٢٠٠٣ قام الرهبان ببناء بوابة بجوار أرضي (سمير يمتلك ١٧ فدانا إلى جوار أراضي الدير)، لكنني وقفت أمامهم وأجبرتهم على هدم البوابة وإزالة كل آثارها، ومن وقتها وهم يعتبروننني قائد المعارضة لهم في المنطقة أو أنني الذي علمت العرب كيف يقفون في وجه الكنيسة رغم أن العرب ليسوا في حاجة لمن يعرفهم كيف يحافظون على حقوقهم.

المفاجأة الأكبر أن سمير لؤلؤ قال لي : إن الكنيسة طلبت منه أن يتدخل، وأن يعيد الرهبان الذين تم اختطافهم (سمير أشار إلى أن الرهبان لم يخطفوا فقد

وجدهم في المكان الذي دارت فيه المعركة بينهم وبين البدو)، وبالفعل أعاد الرهبان، رغم أن أهل القتيل خليل الذي قتل في المعركة، كانوا يريدون الرهبان للانتقام منهم أخذا بالثأر، لم يستجب لهم سمير، وأعاد الرهبان، وهو الآن في ورطة، حيث يطالب أهالي القتيل بجلسة عرب ليأخذوا منه حقهم.

قلت له ما دليلك على ذلك؟

علي الفور أخرج تليفونه المحمول وأجري مكالمة مع شريف مكرم رشدي قال لي:إنه عضو مجلس ملي بملوي ولما سألت عنه عرفت، أنه عضو لجنة مصالحات في الكنيسة دارت المكالمة هكذا:

لؤلؤ: إنت ورطتني وقلت لي: إنت وسامح نصيف إن الرهبان أمانة في رقبتك ولازم تجيبهم، ودلوقتي معمولي ضبط وإحضار، وأنا راجل صاحب عيال يا أستاذ شريف، وعلي فكرة أنا كنت بسجل في دريم وأعطيتهم رقم تليفونك إنت والأستاذ سامح علشان يتصلوا بيكم، ويتأكدوا إنك طلبت وسطتي علشان الرهبان، يرجعوا للدير، وقلت لي الرهبان اخواتك وهم بيعزوك ، ولازم تتدخل لإنقاذهم، وبعدين اسمع إنكم بتقولوا إن الموضوع طائفي وأنا اللى وراه.

شريف: إن شاء الله خير مفيش حاجة.

لؤلؤ: مفيش حاجة إزاي...ابقي افتكر بس تجيب لي عيش وحلاوة في السجن، على فكرة أنا هنا في القاهرة، ومش هقدر أرجع البلد تاني.

شريف: ليه يا عم.

لؤلؤ: المحامي بتاع الكنيسة اللي كان بيسجل معايا ، قال : أنا هاقدم هدية لوزير الداخلية وهاقوله إن معايا راجل مطلوب ضبطه وإحضاره، وهو قاعد يسجل معانا أهو في الأستوديو، وبعدين أنا اتصلت بأبونا كيرلس ومكسيموس، واطمنت عليهم وقلت : لهم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

شريف: صدقني يا عم سمير، أنا ما قلتش عليك حاجة، وبعدين متخافش من

أي حاجة أنا هحميك من أي حد.

سمير: ابقي خلي بالك بس من العيال.

شريف: اوعي تمشي ورا الإشاعات يا شيخ سمير.

سمير: شوف لو تم القبض على مين اللي هيخسر ،لأنكم مش هتلاقوا حد يقف معاكم ولا يحميكم.. صح ولا لا يا أستاذ شريف.

شريف: ده تهديد يا شيخ سمير.

لؤلؤ: لا مش تهديد ولا حاجة ، لكن أنا لما وقفت جنبك، كان هدفي نهدئ البلد فده ما يكونش جزائي.

انتهت المكالمة بين سمير لؤلؤ وشريف مكرم رشدي، وهي مسجلة عندي بالمناسبة حتى لا يفكر أحد في إنكارها أو التبرؤ منها.

هل نفهم من هذه المكالمة شيئاً؟ بالطبع نفهم، فسمير لؤلؤ الذي خرجت الكنيسة عن بكرة أبيها تتهمه بأنه هو الذي حرض البدو وقادهم إلى ضرب الرهبان وقتلهم، هو نفسه الذي اتفقت معه الكنيسة عبر أحد رجالها بالمنيا حتى يخلص الرهبان من ورطتهم ويعيدهم مرة ثانية.

من سمير لؤلؤ في هؤلاء:

الرجل القوي الذي يحرك الخيوط جميعا، على أرض الواقع ليس بكل هذه القوة وأعرف أن قبائل العرب التي تعيش في المنطقة هناك غضبت بشدة من وصف الصحف له بأنه شيخ عرب، أو أنه يتحدث بلسان العرب، وأكد لي علي النجاري – وهو شاعر من أبناء العرب في قصر هور – أن الشيخ سمير رجل محترم مهذب، لكنه ليس من العرب ، وليس متحدثا باسمهم في أي مكان، وهو ما أكده سمير أيضا فهو يدافع عن أرضه ويساند العرب في المحافظة على أرضهم.

أم رجل الأمن وذراعه الطويلة في المنطقة فهم يستفيدون به يصمتون عن جرائمه وسيطرته على الأرض مقابل أن يضمن لهم أن تظل المنطقة هادئة ولا

شغب فيها خاصة أنها مؤهلة للانفجار في أي لحظة.

أما رجل الكنيسة الذي يتمتع بعلاقات طيبة مع رجالها ويتوسط من أجلهم ولا يرفض لهم طلبا، لقد وجدت سمير حانقا على رجال الكنيسة تساءل: لماذا يحولون الخلاف علي الأرض إلى فتنة وصراع طائفي، رغم أن الكل يعرف أن الرهبان يعتدون على الأرض، لقد بنوا قلايات عديدة بين كل قلاية والثانية حوالي كيلو متر وكلما زادت القلايات دخلت الأرض في حوزتهم، كما يعتقدون، ورغم حالة الغضب والحنق هذه من الكنيسة، وجدته يتحدث معهم بمنتهي الود وكأنه يخفض لهم جناح الذل من الرحمة.

الرجل من هيئته يبدو رجلا صالحا ، يرتدي جلبابا صعيديا ، وعلى رأسه شال أبيض، قال لي : إنه رجل من أسرة بسيطة، كافح كثيرا في حياته، سافر إلى عدد كبير من الدول العربية العراق والسعودية والكويت وليبيا، وعندما عاد ليستقر في مصر عام ١٩٩٤، اشتري قطعة الأرض بجوار الدير ليزرعها ويعيش منها.

سمير لؤلؤ عمره ٥١ سنة لديه خمسة أبناء، وعنده ١٤ أخاً وأختاً، وجد نفسه فجأة متورطا في كارثة، حتي وصل الأمر بالبعض إلى النظر إليه علي أنه إمبراطور قصر هور الذي سينافس عزت حنفي إمبراطور النخيلة الذي ضاع عمره علي حبل المشنقة، قد يكون بريئًا لكنه في النهاية عنيد جدا، وزادته المواجهة مع الكنيسة عنادا، ولذلك واصل كشف ما جري هناك في أبو فانا.

يقول سمير لؤلؤ: الرهبان هم الذين قتلوا خليلاً ثم قالوا عليه مختل عقليا، وأنا اتحداهم من أين عرفوا أنه مختل هل لديهم تقرير طبي يثبت ذلك، إن خليلاً حاصل على دبلوم صنايع ومتزوج ولديه ٣ أولاد وزوجته حامل، وكان معه جواز سفر وسافر عدة مرات للخارج، فكيف يمكن أن يكون بحق الله مجنونا، ثم إذا كان مجنونا فهل هذا مبرر لقتله من قبل رهبان الكنيسة.

قلت له: ولكن الكنيسة تقول: إن العرب هم الذين قتلوا خليلاً واتهموا

الكنيسة به حتي يقلبوا الصعايدة ،عليها ويصبح بينهم ،وبينها ثأر لا يمحوه إلا الدم، فرد سمير: بسيطة لقد حرزت قوات الأمن سلاحاً من جانبي المعركة من العرب ومن الرهبان والمعمل الجنائي هو الذي يمكن أن يقول لنا من أين خرجت الرصاصة التي سكنت جسد خليل، هل من أسلحة الرهبان أم من أسلحة العرب؟

سمير حاول بذلك أن يوحي أن الرهبان كانوا يحملون سلاحاً، وعندما سألته ومن أين عرفت أن الرهبان كانوا يحملون سلاحاً وأنت تؤكد أنك لم تكن في ساحة المعركة التي قامت؟

قال: شهود العيان الذين شهدوا الواقعة أكدوا لي أن الرصاصة خرجت من الدير ومن ناحية الرهبان، ثم أن المقاول الذي ذهب ليبني السور قال على الملأ أي حد هيعترض هادفنه ، وكأن النية كانت مبيتة على الغدر.

لم يكن سمير وحده هو الذي جاء ليتحدث، جاء معه على أبو بكر وشهرته علي النجاري، من أبناء العرب حاصل على بكالوريس خدمة اجتماعية، قبل أن يتحدث قلت له: الكنيسة تقول إنه كانت هناك جلسة عرفية في ٢٠٠٦ م بينهم وبينكم وحصلوا خلالها على تنازلات عن الأرض مقابل حصولكم على كافة مستحقاتكم المادية.

قال علي: هذا كلام غير صحيح، فهذه الجلسة تمت بين الرهبان وبين شخص واحد فقط، وأغلبية العرب غير موافقين على ما فعله، والرهبان يمارسون ضغوطاً معينة ،ويصطادون ضعاف النفوس الذين يستطيعون السيطرة عليهم ويغرونهم بالمال، فكثير من العرب لا يريدون أن يتنازلوا عن أراضيهم للرهبان.

علي الذي يحمل عبء التعبير بلسان أهله قال لي: إنه يريد فقط أن يسأل الرهبان الذين لا يتجاوز عددهم ١٣ راهبا في دير أبو فانا: هل الدين المسيحي يأمركم أن تبنوا صومعة علي أرض الغير، وهل لابد أن تعبد الله على مساحة ٢٠ كيلو متراً،

وإلا فإن الله لا يقبل منك صلاتك أعتقد أن المسيحية بريئة من مثل هذه التصرفات.

الآن لابد أن نحجم الصراع بين البدو والكنيسة ، ونضعه بين قوسين: فالعرب يؤكدون أن الرهبان يملكون أراضٍ ولا ينكرون عليهم ذلك لكن هذه الأراضي تصل بالكاد إلي ١٢٠ أو ١٣٠ فداناً فقط، والمفزع أن السور الذي كان الدير يريد أن يبنيه سيدخل مساحة تصل إلى ١٥٠٠ فدان في حرم الدير وكلها ليست من حق الكنيسة.

في المقابل قالت الكنيسة: إنها تملك مستندات بملكية الأرض، وبالفعل حصلت على عدد كبير من المستندات تؤكد كلام الكنيسة ، بعد أن كانت هذه المستندات مثل الحلم المستحيل، صحيح أن المستندات تشير إلى ملكية الكنيسة في الأرض، لكن أي أرض وأي مساحة؟

المستندات كلها تشير إلى أن الأقباط يمتلكون ٤٥٦ فداناً، وبالأسماء الملاك هم، جورج بنيامين بطرس وفتحي إسحاق يني ١٦٨ فداناً، اميل باسيلي مقار ٦٠ فداناً، جورجيوس فوزي راغب ٢٨ فداناً نظيم منير شحاته وميلاد عطية رياض ٥٠ فداناً، القس متياس كمال من منصور الجمل ٢٥ فداناً، مطرانية ملوي ٤٥ فداناً، كراس محروس كراس وأمين كامل جرجس ٨٠ فداناً.

هذا إذن كل شيء، فما هو سبب كل هذه الضجة، إن العرب يعتبرون الأرض أرضهم، والكنيسة تعتبرها أرضاً بلا صاحب، فلماذا لا يسيطرون عليها، وكل طرف يعتقد أنه علي صواب، وعلي هامش هذا الاعتقاد تسيل الدماء ويقتل الأبرياء،وفي النهاية يخرج البابا شنودة، رد الله غيبته وشفاه وعافاه ليقول: إن العرب محتاجون حد يحكمهم.

عمر النجاري قال لي في تأثر: لماذا فعلها البابا إنه رجل عاقل، فالعرب ليسوا لصوصاً ،وهناك من يحكمهم ، يحكمهم الله والقانون والعرف، لكن السؤال هو

من يحكم رهبانه.

التحقيق في هذا الموضوع كان بالنسبة لى مثل السباحة في بحر الرمال العظيم فالكل يدعي أنه على حق وأن الحق معه رغم أن الباطل ما يجمعهم، إنهم يسطون على أراضي الدولة والحكومة تتفرج، يمكن أن يتكرر ما حدث في قصر هور طالما أن الدولة صامتة والمتصارعون على أرض ليست ملكهم، يمتلكون كل هذه الجرأة والوقاحة ليتحدثوا عن حقوقهم ...وقانا الله وإياكم شر الزلل.

obeikan.com